الكاظمي وايران .. دعم حذر

رضا الغرابي القزويني

لا يختلف أحد على اهمية الملف العراقي للجمهورية الإسلامية الإيرانية. فالعراق بلد ذات أهمية استراتيجية في المنطقة و جار مهم لها. تزداد هذه الأهمية عندما تكون الولايات المتحدة العدو اللدود لإيران حاضرة بكل ثقلها وقوتها وقواها السياسية والأمنية والعسكرية على الجانب الغربي من حدودها في بلاد الرافدين.

منذ أكثر من عقد و نصف هناك صراع جلي بين الدولتين على الساحة العراقية يحمّل كل طرف الطرف الآخر مسؤولية الإخفاقات والتوترات التي تنعكس على الساحة. بينما كلا الجانبين لهما ثقلا سياسيا كبيرا يصل إلى مرحلة رسم ملامح الحكومات العراقية المتعاقبة ورؤساءها.

بينما تم توجيه اتهام مسؤولية انتكاسات غالبية تلك الحكومات لإيران بسبب دعمها لبعض القوى والشخصيات الشيعية الفاعلة في الساحة السياسية وتوظيف الإعلام لهذا الغرض حيث ترك أثرا واضحا على مشاعر الساحات الغاضبة التي رسم لها ان ايران وحلفاءها سبب تمام الخراب والإخفاقات في العراق متجاهلين دور المحور المقابل والجهات التي تعمل في فلكه، استطاعت الإدارة الامريكية من استخدام ورقة الخلافات الحادة والمتزايدة بين القوى السياسية الشيعية مستخدمة ورقة الشارع الغاضب لترسيم صورة الحكومة التي حلت مكان كابينة عادل عبدالمهدي رئيس الوزراء الذي لم ينال رضى الإدارة الأمريكية بسبب مواقفه تجاه الامريكيين.

أما مصطفى الكاظمي لم يصل إلى سدة الحكم في ظروف عادية. الرجل هو نتيجة مخاض عسير وماراثون مدمر ولو كانت الظروف عادية لم يطرح حتى كخيار من قبل القوى الشيعية وإيران لأسباب كثيرة منها محسوبيته على الأمريكيين.

لكن الظروف الحرجة والمقلقة جدا رفعت الفيتو الإيراني المحتمل جدا عن الكاظمي و هكذا استطاع الأخير الوصول إلى أهم منصب تنفيذي في البلد وسط قلق ايراني حذر من تداعيات هذا الترشيح و القبول.

هناك أسباب واضحة لدى الجانب الايراني للقلق من تسنم الكاظمي منصب رئاسة مجلس الوزراء و الأهم، مايقال عنه حول قربه لدوائر القرار الامريكية و من هنا بدأت

المخاوف داخل ايران من تقويض النفوذ الإيراني داخل العراق و تعزيز الوجود الأمريكي اتي تعتقد طهران ان التواجد العسكري الامريكي يضر مصالحها في العراق و يشكل خطرا على امنها الداخلي. كما يشكل تهديدا لفصائل المقاومة العراقية المقربة لها و التي كانت قوة ضاربة ضد تنظيم داعش الإرهابي.

انتقلت تلك الهواجس إلى الإعلام الإيراني وحتى الناشطين في مواقع التواصل الإجتماعي حيث اعتقد الكثيرين و خصوصا المقربين للتيار الأصولي ان بعد تسلم الكاظمي للسلطة من الضروري أن تكون مهمته الأولى طرد القوات العسكرية الأمريكية من الأراضي العراقية، تنفيذا لقرار البرلمان العراقي وردا على جريمة إغتيال القائدين الشهيدين سليماني والمهندس.

لكن قضية مداهمة مقر كتائب حزب الله العراقي في بغداد من قبل قوة تابعة لرئيس الوزراء بعد فترة قليلة من تسلم السلطة أثارت هواجس أكبر لدى المتابعين في ايران واعتبروا القضية بداية سريعة لتنفيذ المخطط الذي يستهدف الحشد.

وبكل وضوح اتخذت القوة الفاعلة والإعلام الرسمي والشبه رسمي في إيران موقفا هادئا وحذرا تجاه الكاظمي وحكومته مما يؤكد على وجود قرار إيراني لعدم إضعاف رئيس الوزراء الجديد وحكومته بسبب الظروف الراهنة في العراق.

زيارة الكاظمي إلى ايران والتي كان من المقرر ان تكون محطته الثانية بعد السعودية كان لها دورا ملفتا على النظرة الإيرانية إلى رئيس الوزراء الجديد على الصعيد الإعلامي على الأقل. خصوصا اللقاء الذي جمع الكاظمي بقائد الثورة الاسلامية في إيران آية الله الخامنئي الذي اعتبر "اللقاء الكاسر للبرتوكولات" الصحية الصارمة والمفروضة داخل مقر إقامة القائد بسبب جائحة الكورونا وهو أول مسؤول يلتقي به خلال الأشهر الماضية.

مفاد اللقاء كان واضحا بالنسبة للإيرانيين حيث أكد السيد الخامنئي خلال اللقاء على ضرورة انسحاب الامريكان من العراق وان بلاده لاتنسى مقتل سليماني. كان واضحا ان طهران تتوقع من الكاظمي ان يقوم بتنفيذ خطة جديدة لإخراج الأمريكان من العراق

الأمر الشائك الذي يكون محرجا للكاظمي وخصوصا ان الأخير يريد بناء علاقات متوازنة مع الطرفين وبالإضافة إلى العلاقات التي تجمع بينه وبين الأمريكيين.

المعلومات الموجودة والموقف الايراني تجاه الكاظمي حتى الآن يشير إلى دعم حذر لحكومته دون تسقيط أو وضع عراقيل لكن الأمر مرهون بشكل تعامل الكاظمي مع ملفات سياسية وامنية استراتيجية أهمها التوازن في علاقاته الخارجية وعدم تجاهل طهران وتقييد الوجود العسكري الأمريكي أو سحبهم إلى خارج العراق بالإضافة إلى طريقة التعامل مع فصائل المقاومة العراقية.

كما لايمكن ان نتجاهل ملف العلاقات الاقتصادية بين البلدين. يعول الايرانيون كثيرا على زيادة التجارة وتصدير السلع والطاقة إلى العراق بسبب الحاجة الايرانية الملحة إلى العملة الصعبة في ظل الظروف الاقتصادية الراهنة لأن العراق يعتبر الشريان الاقتصادي الرئيسي لطهران بعد العقوبات الامريكية الخانقة.

يبدو ان زيارة الكاظمي الأخيرة إلى الولايات المتحدة لاتقلق طهران طالما يستطيع الرجل من الحفاظ على علاقات متوازنة مع كلا الطرفين وعدم تجاهل هواجس الايرانيين وهذا يعود إلى قدرته على ادارة الملف الخارجي وحتى الداخلي خصوصا تعامله مع القوى السياسية والفصائل المسلحة التي تتخذ مواقف سلبية تجاه التواجد الأمريكي.

اهتمام جميع دوائر القرار الايرانية بالتعامل مع الملف العراقي يؤكد على ادراك ايراني جديد بأهمية الوضع العراقي الراهن و ضرورة حدوث تغييرات في شكل العلاقات وتوسيع أدوار المجلس الأعلى للأمن القومي الإيراني و الخارجية الإيرانية.

على الرغم من كل ذلك و خلافا للإتجاه الرسمي الإيراني، يبدوا واضحا ان بعض الاطراف السياسية الشيعية العراقية تمارس ضغوطا سياسية وإعلامية كبيرة على الكاظمي من خلال عدة ملفات وهذا الأمر يبدوا معقدا حيث لايمكن حتى الأن معرفة مدى تأثر طهران في المستقبل بهذه الضغوط والهجمة أم انها تستطيع تهدئة حلفاءها. وكما اسلفت ان الأمر يعود إلى حد كبير إلى قدرة الكاظمي في التعامل مع تلك التعقيدات